سلسلة مطبوعات مسجد الإمام البخاري (٢)

فَوْحُ الزَّهْرِ بِفَوَائِدِ سُورَةِ العَصْرِ

جمع وترتيب

أبي محمد حسن بن حامد

وقف لله، جزى الله خيرا من أعان على طبعه

سلسلة مطبوعات مسجد الإمام البخاري (٢)



جمع وترتيب

أبي محمد حسن بن حامد

وقف لله، جزى الله خيرا من أعان على طبعه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد ففي شهر رمضان سنة ١٤٣٨هـ أقمنا دورة علمية اقترح أحد الأخوة أن نُعلن عنها باسم دورة الشيخ عيسى بن صالح رحمه الله، فسُررت بهذا الاقتراح إذ رأيت فيه فرصة للتذكير بهذا الشيخ الفاضل الذي عرفته -والله حسيبه- طالب علمٍ مجداً وداعية بصيراً محنكاً وجواداً كريماً حريصاً على نفع إخوانه ونجدة الملهوف منهم مع حسن خلقٍ وصبرٍ واحتمال، وكان من جملة الدروس التي أقمناها فيها درسٌ في تفسير سورة العصر وذكر شيءٍ من فوائدها، وكان الدرس إملاءاً مستفاداً كله من كلام العلماء وأكثر استفادتنا فيه من كتاب: النشر لفوائد سورة العصر للعلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله، ثم رغب إخوة فضلاء في نشره ففرغوه وراجعوه أسأل الله أن يجزيهم أحسن الجزاء وأن يبارك في من بذل لطبعه ونشره، راجيا أن يُغض عما فيه من نقص مع بذل النصح والتوجيه، والله المستعان.

كتبه أبو محمد حسن بن حامد

الأحد ٢٩ رجب ١٤٣٩ هـ

١٥ / ٤/ ٢٠١٨ م

فوح الزهر بفوائد سورة العصر

سميت هذه السورة باسم العصر الذي أقسم الله به، قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره التحرير والتنوير: «وآيها ثلاث آيات وهي إحدى سور ثلاث هن أقصر السور عدد آيات؛ هي والكوثر وسورة النصر» اهـ. لهذه السورة شأن عظيم عند السلف رضي الله عنهم، فأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي مدينة الدارمي وكانت له صحبة قال: «كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم أحدهما على الآخر».(١)

قال الشوكاني رحمه الله: «ولعل الحامل لهم على ذلك ما اشتملت عليه من الموعظة الحسنة من التواصي بالحق والتواصي بالصبر بعد الحكم على هذا النوع الإنساني حكما مؤكدا بأنه في خسر فإن ذلك مما ترجف له القلوب وتقشعر عنده الجلود وتقف لديه الشعور وكأن كل واحد من المتلاقيين يقول لصاحبه أنا وأنت وسائر أبناء جنسنا وأهل جلدتنا خاسر لا محالة إلا أن يتخلص عن هذه الرزية وينجو بنفسه عن هذه البلية بالإيمان والعمل

---

(١) وهذا الأثر صححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٦٤٨) وذكر العلامة الألباني رحمه الله أن هذا الأثر اشتمل على أمرين: الأمر الأول: مشروعية قراءة سورة العصر عند التفرق للتذكير بما اشتملت عليه من أسباب النجاة. الأمر الآخر: التسليم عند التفرق (فليست الأولى بأحق من الآخرة).

الصالح والتواصي بالحق وبالصبر».

قال الإمام الشافعي: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم»، ذكره عنه ابن كثير في تفسيره، ورُوي هذا الخبر عن الشافعي بلفظ: «لو لم ينزل الله على عباده حجة إلا هذه السورة لكفتهم»، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني كفتهم موعظة وحثا على التمسك بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة». (١)

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله في الدرر السنية (٣٤٩/٥): «اعلم أن قول الشافعي رحمه الله تعالى فيه دلالة ظاهرة على وجوب طلب العلم مع القدرة في أي مكان ومن استدل به على ترك الرحلة والاكتفاء بمجرد التفكر في هذه السورة فهو خلي الذهن من الفهم والعلم والفكرة إن كان في قلبه أدنى حياة ونهمة للخير، لأن الله افتتحها بالإقسام بالعصر الذي هو زمن تحصيل الأرباح للمؤمنين وزمن الشقاء والخسران للمعرضين الضالين وطلب العلم ومعرفة ما قصد به العبد من الخطاب

---

(١) اللفظ الأخير للإمام الشافعي فيه إشكال حتى أن بعض المعاصرين ممن شرح ثلاثة الأصول طعن في ثبوته عن الإمام الشافعي وأنه قال هذا، ومعلوم أن هذه السورة لا تكفي عما جاء به الإسلام من شرائعه وأعماله ولكن الشيخ ابن عثيمين أجاب عن هذا الإشكال بقوله كفتهم موعظة فيما يتعلق بالأمور الأربعة التي اشتملت عليها وهي السبيل إلى النجاة من الخسارة، إذ ليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

الشرعي أفضل الأرباح وعنوان الفلاح والإعراض عن ذلك علامة الإفلاس والإبلاس فلا ينبغي للعاقل أن يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع والميراث المحمود».

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٦٥/١): «فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا إلى كل خير».

وقع الخلاف بين العلماء هل هذه السورة مكية أو مدنية فذهب الجمهور إلى أنها مكية وخالفهم قتادة ومقاتل فقالا: هي مدنية، قال الشوكاني رحمه الله: والقول الأول أرجح، فإن المقام مرجعه الرواية لا الرأي فنقل الأكثرين مرجح، ثم ذكر أن غالب السور المختصرة مكية، والحمل على الغالب مرجِّح مستقل.

الكلام على البسملة:

وقع الاختلاف بين أهل العلم في البسملة، هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها، أو هي بعض آية من أول كل سورة أو هي آية في الفاتحة فقط دون غيرها من السور، أو أنها ليست بآية في الجميع وإنما كتبت للفصل والتبرك، بعد اتفاقهم على أنها بعض آية من سورة النمل وعلى أنه لا تفتتح بها سورة براءة، فذهب الجمهور إلى الأول واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن عثيمين، وقد أبعد من لم يعدها آية لا من الفاتحة ولا من غيرها كالإمام مالك من الفقهاء، والكلام على هذه الأقوال استدلالا وترجيحا

مدون في مواضع بسطه.

(بسم): الباء حرف جر، ومتعلقه محذوف نقدره فعلا مناسبا متأخرا، نقدره فعلا لأن الأصل في العمل الأفعال، ونقدره مناسبا لمناسبة الغرض الذي بسمل له، ونقدره متأخرا للدلالة بتأخيره على الاختصاص مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم والإشارة إلى أن البداية به أهم لكون التبرك حصل به، والباء للاستعانة والمصاحبة والتبرك واختلف في اشتقاق اسم، أهو مشتق من السمو الذي هو العلو والرفعة وهو قول البصريين ونصره الزجّاج، أم هو مشتق من السمة التي هي العلامة فكأنه علامة على مسماه وهو قول الكوفيين. وكأن شيخ الإسلام يُرجح قول البصريين في تقرير له مفيد في مجموع الفتاوى فراجعه (٦/٢٠٧-٢٠٩).

(الله): قال الشوكاني رحمه الله: «علم لذات الواجب الوجود[1] لم يطلق على غيرها وأصله إله فهو فِعَال، حذفت الهمزة وعوضت عنها أداة التعريف فلزمت، وكان قبل الحذف من أسماء الجنس يقع على كل معبود بحق أو بباطل، ثم غلب على المعبود بحق» اهـ. قال ابن القيم رحمه الله: «اسم الله تعالى (الله) هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى» اهـ. وهو اسم الله الأعظم عند جماعة كبيرة من العلماء، فالله هو المعبود بحق وهو اسم مختص بالباري دون سواه.

---

(١) هذا إخبار عن الله عز وجل وليس اسما له من أسمائه فإنها توقيفية وراجع الصفدية لشيخ الإسلام (٢/١٨٠).

(الرحمن الرحيم): قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد: «الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته» اهـ. قال الشوكاني رحمه الله: «واتفقوا على أن الرحمن لم يستعمل في غير الله سبحانه، فهو من الصفات الغالبة ولا اعتبار بما وقع من بني حنيفة من إطلاق الرحمن على مسيلمة الكذاب».[(١)]

(والعصر): الواو واو القسم، واختلف المفسرون في العصر الذي أقسم الله به فقيل هو الدهر، وقيل هو صلاة العصر، وقيل هو عصر النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، إلى أقوال أخر الصواب منها أنه الدهر، وهو الذي رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره، وقال ابن القيم رحمه الله في التبيان في أقسام القرآن: «وأكثر المفسرين على أنه الدهر وهذا هو الراجح»، وقال الشوكاني رحمه الله: «والظاهر في هذه الآية أن المراد به الدهر»، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا هو الأصح». معلوم أن الدهر مخلوق ففي الإقسام بالعصر وغيره أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وقد كُلِّف البشر بألا يقسموا إلا بالله ومن أدلة ذلك ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ".[(٢)]

قال ابن القيم رحمه الله في التبيان في أقسام القرآن: «فأقسم بالعصر الذي

---

(١) لكن بنو حنيفة يقولون عنه رحمن اليمامة بالتقييد وليس بإطلاق ومع ذلك فلا اعتبار بقولهم.

(٢) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما

هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها، ونبه بالمبدأ الذي هو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين وأفعالهم وجعلها قسمين خيرا وشرا، تأبى أن يسوى بينهم ولا يجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته» اهـ. والعصر الذي هو الزمان هو الذي تقع فيه حركات وأفعال بني آدم من أغلى وأنفس ما أعطاه الله للعبد، ففي الإقسام به تنبيه على حفظه واستغلاله في الخيرات، قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه *** وأراه أسهل ما عليك يضيع

ومدة حياتك وعمرك هو رأس مالك الذي تتجر فيه مع الله، فإما خاسر وإما رابح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن ابن عباس: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ "[1]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغا، ليس في شيء من أمر دينه ولا أمر دنياه».

الدهر فيه عبر وعظات يتعاقب فيه الليل والنهار والضياء والظلام، وكل ذلك من دلائل عظمة الله عز وجل وقدرته سبحانه وتعالى.

قال الشوكاني رحمه الله: «وقد اختلف القراء في قراءة هذه الكلمة، فقرأ الجمهور والعَصْر بسكون الصاد، وقرأ يحي بن سلّام بكسر الصاد، وقرأ الجمهور

(١) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما

أيضا خُسْر بضم الخاء وسكون السين وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى بضم الخاء والسين خُسُر، ورويت هذه القراءة عن عاصم».

قوله تعالى: (إن الإنسان لفي خسر): هذا جواب القسم والإنسان يعم كل فرد من أفراد هذا النوع لتحليته بالألف واللام المفيدة لذلك كما هو مقرر في علم المعاني والبيان، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الإنسان هنا عام لأن المراد به الجنس، وعلامة الإنسان الذي يراد به العموم أن يحل محل (أل) كلمة (كل) فهنا لو قيل كل إنسان في خسر لكان هذا المعنى»، وقال السمين الحلبي: «المراد به العموم بدليل الاستثناء منه، وهو من جملة أدلة العموم».

والمراد بالخسر هنا: المعنى اللغوي، قال الأخفش: «في خسر: في هلكة»، وقال الفراء: «في عقوبة»، وقال ابن دريد: «في شر». والخسر أيضا النقصان وذهاب رأس المال، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: «والخسر مصدر وهو ضد الربح في التجارة» اهـ. فالخسران هو ذهاب رأس المال ورأس مال الآدمي هو عمره ونفسه.

والظرفية: (لفي خسر): شبَّه ملازمة الخسر لهذا الإنسان بإحاطة الظرف للمظروف، فكانت أبلغ من أن يقال إن الإنسان لخاسر، ومجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم وحرف التوكيد (إنَّ) في جوابه يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس.

التنكير في قوله تعالى: (لفي خسر): يفيد التهويل والتعظيم فهو خسران عظيم فاضح، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ١٥﴾[1]

قال السعدي رحمه الله: «والخسار مراتب متعددة متفاوتة، قد يكون خسارا مطلقا كحال من خسر الدنيا والآخرة وفاته النعيم واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرا من بعض الوجوه دون بعض».

قال الشوكاني رحمه الله: «ولا يخفى أن هذه الجملة القسمية قد اشتملت على مؤكدات منها القسم ومنها تسوير جواب القسم بحرف الشبيه، أي بالحرف المشبه للفعل وهي إنَّ وأخواتها، وله مدخلية في تأكيد ما دخل عليه من الكلام ثم المجيء بالجملة الإسمية، فإنها تدل على الدوام والثبات، ثم تحلية الإنسان باللام الاستغراقية المفيدة للعموم، ثم اللام في قوله تعالى: (لفي خسر): ثم المجيء بفي الدالة على أن الخسر قد صار ظرفا له فكأنه منغمس فيه، وهو مشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف، فقد اشتمل هذا الكلام على جميع المؤكدات التي ذكرها أهل البيان وكل ذلك يفيد أن لزوم هذا الخسر للإنسان ثابت لا محالة وأنه لا ينفك عنه بحال من الأحوال ولا يفارقه بوجه من الوجوه إلا إذا تخلص عنه بما تضمنه الاستثناء فإنه يخرج به من الظلمة إلى النور ومن الضيق إلى السعة ومن الهلاك إلى السلامة ومن العذاب إلى النعيم ومن النار إلى الجنة».

قال الشوكاني رحمه الله: «والمناسب للمقام أن يكون الخسر الهلاك للإنسان

---

(١) الزمر: ١٥.

المذكور لعدم استقامته على الدين وليس المراد الهلاك الدنيوي بالقتل أو نحوه بل المراد الهلاك الديني الموجب لمصيره إلى النار كما يفيد ذلك استثناء (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وأيضا المقام مقام الترهيب للعصاة والترغيب لأهل الإيمان والطاعات».

قال الشوكاني رحمه الله: «فإن قلت قد ذكرنا أن لله سبحانه أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته فهل ثم نكتة في تخصيص الإقسام بالعصر في هذه السورة؟ قلنا يمكن أن تكون النكتة[1] أن العصر الذي هو الدهر لما كان كثير من الغافلين ينسبون ما ينوبهم من السعادة والشقاوة إليه، أقسم الله به بلزوم الخسر لهم وأنهم في خسر لا يتخلصون عنه إلا بما تضمنه الاستثناء، ثم قال: فإن قلت فهل من نكتة في ذكر الإنسان في هذه الآية مع إمكان أن يأتي مكانه بالناس أو ما يفيد مفاده؟ قلت يمكن أن يقال إن هذا اللفظ أعني الإنسان خاص بهذا النوع لا يتناول غيره ولا يشاركه فيه سواه بخلاف لفظ الناس فإنه كما في كتب اللغة يطلق على الجن كما يطلق على الإنس وعلى ناسِ الإبل وهو سائقها».

قال الشوكاني: «فإن قلت قد تكلمت على مفردات هذه الآية أعني قوله سبحانه (والعصر إن الإنسان لفي خسر) ولم تتكلم على مجموعها من حيث محلها والغرض الذي سيقت له قلت هي: مبتدأة قسمية إنشائية لا محل لها

---

(١) هي المسألة العلمية البديعة التي استخرجت بدقة نظر وإمعان فكر.

من الإعراب وأما الغرض الذي سيقت له فهو ترهيب عباد الله سبحانه عن معاصيه وإهمال ما أوجبه الله على عباده من الإيمان والعمل وترغيبهم في الإيمان وعمل الصالحات وأن ذلك هو الذي يكون به خروجهم من ظلمات الخسر إلى أنوار الإيمان والطاعة فمن ألقى السمع وهو شهيد إلى هذا الوعد والوعيد والترغيب والتهديد جذبه ذلك إلى خير البداية والنهاية ونعيم الدنيا والآخرة ونجا من دركات الخسران ووصل إلى درجات الجنان ومعلوم أن العقلاء من هذا النوع الإنساني يطلبون الوصول إلى النعيم الأبدي والعيش الهنيء الذي لا ينقطع ولا يفنى لأن نعيم الدنيا وإن بلغ في الحسن والرفاهة إلى أرفع الرتب وأعلى المنازل فهو مكدر بأنه زائل ذاهب والانتقال عنه قريب وإن ظنه من طاوع كواذب الآمال بعيدا وكل عاقل يعلم أن كل نعيم يزول وكل نعمة تذهب يكون حزنها أكثر من سرورها وغمها أعظم من الفرح بها وقد أحسن المتنبي حيث يقول:

أشد الغم عندي في سرور *** تيقن عنه صاحبه انتقالا

والآمال بأسرها -جميعها- وإن طالت ذيولها وبعدت مراميها فآخرها التقضي والذهاب ولهذا أقول:

لا يغرنك طول عمر فإن الـ *** حبل يطوى من ساعة الميلاد» اهـ.

قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات): الموصول من صيغ العموم كما تقرر في علم البيان والأصول فيشمل كل من حصل له وصف الإيمان وقد اختلف الناس في تفسير الإيمان فأكثروا وأطالوا في ذلك والحق

مذهب أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وعطف العمل عليه من باب عطف الخاص على العام اهتماما به، واعلم أن الإيمان لا يكون بدون علم فهو فرع عنه لا يتم إلا به نبه عليه العلامة السعدي رحمه الله. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والمراد به الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تردد».

قال ابن عاشور رحمه الله: «وقد دل استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أن يكونوا في خسر على أن سبب كون بقية الإنسان في خسر هو عدم الإيمان والعمل الصالح بدلالة مفهوم الصفة».

قال ابو السعود في تفسيره: «(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم في تجارة لن تبور، حيث باعوا الفاني الخسيس، واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات، فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم. وقوله تعالى: (وتواصوا بالحق) بيان لتكميلهم غيرهم».

قال الشوكاني رحمه الله: «وقد دل العطف في قوله (وعملوا الصالحات) على أنه لابد من الجمع بين الإيمان وبين العمل وأنه لا يكفيهم مجرد الإيمان، والمراد بالصالحات الأعمال الصالحة وأهمها وأقدمها ما يجب على الإنسان القيام به ومن ذلك أركان الإسلام الخمسة ثم ترك ما حرمه الله عليه فإن الكف عن ذلك عمل صالح يُمدح التارك له على تركه ويُذم الفاعل له على فعله، ثم يفعل من أعمال الخير ما بلغت إليه قدرته على حسب الحال ومن زاد زاد الله في حسناته» اهـ.

ولا يكون العمل صالحا حتى يجتمع فيه شرطان: الإخلاص للمعبود سبحانه وتعالى والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[١] : «أخلصه وأصوبه فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة» اهـ.

في تفسير القرطبي في تفسير قوله تعالى: (وعملوا الصالحات): «هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم» اهـ، ومعلوم أن النص القرآني عام ولعل القرطبي رحمه الله تعالى أراد أن ينص على أن أول الداخلين في هذه الآية وأبعد الناس عن الخسران لتكميلهم مراتب النجاة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا فوز من أحبهم واتَّبَعهم.

ذكرنا أن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل يزيد وينقص وأن عطف الأعمال الصالحة عليه من باب عطف الخاص على العام ففيه أبلغ رد على بعض المرجئة الذين قالوا إنه لا يلزم ضم العمل إلى الإيمان وأنه ليس منه.

قال الشوكاني رحمه الله: «فإن قلت قوله (وعملوا) يدل على أنه يكفي عمل الصالحات مرة واحدة لأن الفعل من باب المطلق فيصدق معناه بالمرة الواحدة وليس في الصيغة ما يدل على التكرار؟ قلت: الأمر كما ذكرت ولكن

---

(١) الملك: ٢.

الأدلة من الكتاب والسنة قد دلت على وجوب تكرار ما هو متكرر والإجماع قائم على ذلك». ثم ذكر أن مثل هذا يقال في قوله تعالى (الذين آمنوا).

قوله تعالى: (وتواصوا بالحق): قال الشوكاني رحمه الله: «يقال أوصاه ووصاه يوصيه عهد إليه ومعنى التواصي أنه أوصى به أولهم آخرهم وهذا ذاك وذاك هذا، هذا هو المعني اللغوي، والحق في الشرع واللغة ضد الباطل وأصله الثبوت من حقَّ الشيءُ إذا ثبت والـمُحِق ضد الـمُبطِل والمراد هنا أنه وصَّى بعضهم بعضا بما يحق القيام به فيدخل التواصي بالإيمان وبالقيام بأركان الإسلام دخولا أوليا ومن أهم أنواع التواصي بالحق أن يتواصوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اهـ.

وقوله تعالى: (وتواصوا بالحق) يعني تعليما وإرشادا بأن يوصي بعضهم بعضا بالحق ويرشده إليه ويحضه عليه، قال ابن كثير رحمه الله عن الحق الذي تواصوا به : «هو أداء الطاعات وترك المحرمات».

إنما قال (وتواصوا بالحق) ولم يقل ويتواصون بالحق؛ لأن الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل. انتهى من مفاتيح الغيب بتصرف.

قال ابن عاشور: «وعطف على عمل الصالحات التواصي بالحق والتواصي بالصبر -وإنْ كان ذلك من عمل الصالحات- من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به لأنه قد يغفل عنه يظن أن العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته فوقع التنبيه على أن من العمل المأمور به إرشاد المسلم غيره

ودعوته إلى الحق» اهـ.

قال البقاعي رحمه الله: «واختير التعبير بالوصية إشارة إلى الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستعمال اللين بغاية الجهد».[(١)]

وفي قوله تعالى: (وتواصوا) إشارة إلى احتياج المسلمين بعضهم إلى بعض تعاونا على البر والتقوى فإن المسلم قوي بإخيه.

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٥٦/١) : «المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه، فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر إلا الذين آمنوا: وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة، وعملوا الصالحات: وهم الذين عملوا بما علِموه من الحق فهذه مرتبة أخرى. وتواصوا بالحق: وصَّى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة، وتواصوا بالصبر: صبروا على الحق ووصَّى بعضهم بعضا بالصبر عليه

---

(١) وهذه فائدة نفيسة ولهذا ذكروا من جملة ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون الأمر بالمعروف برفق وأن يكون النهي عن المنكر برفق لأن هذا أدعى للاستجابة وللانتفاع والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"، والداعية قصده الأول بعد استجابته وتنفيذه لأمر الله عز وجل قصده الأول أن ينتفع الناس بنصحه وموعظته وتوجيهه لا كما عليه بعض الناس من المشتغلين بالدعوة ممن نصبوا أنفسهم قضاة وحكاما من تنفير الناس من الدعوة وذلك بتوبيخهم والغلظة عليهم ويستخدمون في ذلك عبارات سوقية، والداعية يستعمل ما حض عليه الشرع ويستعمل لغة العلم.

والثبات فهذه مرتبة رابعة وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالإيمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل».

قال الشوكاني رحمه الله مبينا ما ينبغى اعتماده ومراعاته في التواصي: «اعلم أن لكل مقام مقالا فينبغي للإنسان عند ملاقاة من له اشتغال بعمل من الأعمال أن يأخذ في توصيته بما ينتفع به فيما هو بصدده فمن كان مشتغلا مثلا بالعلم، فينبغي أن يوصيه بحسن النية أولا ثم بالاشتغال بما يعود نفعه عليه من الكتاب والسنة وما يتوسل به إليهما ويعين على فهمهما[1] وكيفية العمل بهما ثانيا، ثم الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب ثالثا، ثم الإرشاد إلى الرد إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند الاختلاف رابعا، ثم هكذا يأخذ مع أهل كل صناعة بتوصيتهم بما ينتفعون به في صناعاتهم ويحفظون به دينهم في مباشراتهم».

قال الشوكاني رحمه الله: «فإذا قلت ما تقول في تفسير قتادة لهذه الآية بأن المراد بالحق القرآن؟ قلت: أقول أنه قد اقتصر على رأس الحق وأساسه وأكمله وأجله وأجمله، ولكن من الحق أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الحق ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الهدي القويم

(١) من علوم الآلة.

والخلق المبارك فيما يتعلق بأمر معاشهم ومعادهم وتعاملهم وإن كان غالب ذلك هو في الكتاب والسنة فإنهم متخلقون بهما متقيدون بما فيهما ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها في وصفها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان خلقه القرآن مع قوله عز وجل :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، فإن قلت: فما تقول فيما ذهب إليه بعض المفسرين أن المراد بالحق المذكور في هذه الآية هو التوحيد؟ قلت أقول إن التوحيد هو الباب الذي لا يدخل إلى نور الإسلام والإيمان إلا منه ولا يخرج من ظلمات الكفر والضلال إلا به وهو الفرقان بين أهل الإيمان وأهل الكفران وهو المقدم من أركان الإسلام ولكنه لا يتم الإسلام به وحده ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة الثابتة من طرق كثيرة في جواب من سأله عن الإسلام: هو أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، فإذا كان الإسلام لا يتم به على انفراده فكيف يتم به الإيمان وعمل الصالحات» اهـ.

ما ذكره رحمه الله من كون التوحيد باب الإسلام الذي لا يُدخل إليه إلا منه كلام جيِّد ونفيس فهل عقله كثير من المسلمين الذين واقعوا الشرك الأكبر والكفر المشين، ومن صور ذلك التعلق بالمقبورين والاستغاثة بهم فإنه قد جلَّت المصيبة وعظُمت الفتنة فيما ابتلي به كثير من المسلمين في أقطارهم المختلفة من تعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها مساجد وإسراجها ووضع

---

(١) القلم: ٤.

الستور عليها، وذلك من أعظم الوسائل المفضية إلى إشراك أهلها مع الله ودعائهم والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات. وقد بيَّن العلماء أن تعظيم القبور والغلو في أصحابها من أعظم أسباب الوقوع في الشرك وعبادة الأصنام، قال الفخر الرازي[١] (٦٠٦ هـ) في تفسيره (١٧/ ٦٠) عند قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢] قال: «ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر؛ على اعتقاد أنهم إذا عظَّموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»، قال ذلك مشبها ما يحصل من كثير من الناس من تعظيم القبور وطلب الشفاعة من أصحابها بما حصل من عباد الأصنام في تعظيمها وعبادتها لتشفع لهم عند الله. وقال في تفسير سورة سبأ (٢٥/٢٥٤): «واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة»، قال في آخرها: «قول من قال: إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى في إبطال قولهم: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[٣]، فلا فائدة لعبادتكم غير الله؛ فإن الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره، فبطلبكم الشفاعة تفوِّتون على أنفسكم

---

(١) الرازي من كبار مبتدعة الأشاعرة والنفاة –وقد قيل أنه رجع عن ذلك في آخر عمره– والنقل عنه قد يكون لإقامة الحجة على مَنْ يحتفي به من الأشاعرة والصوفية.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) سبأ: ٢٣.

الشفاعة». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٧٩): «وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:"اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد"، واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم - أنه لا يتمسح به ولا يقبِّله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «والله! إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّلك ما قبَّلتك»، ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يُقبلَ الرجلُ أو يَستلمَ ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين». والحديث الذي ذكره شيخ الإسلام في أول كلامه أخرجه أحمد (٧٣٥٨) وغيره بإسناد صحيح، وانظر تحذير الساجد للشيخ الألباني (ص: ٢٥). وقال ابن القيم رحمه الله (٧٥١ هـ) في كتابه إعلام الموقعين (٣/١٥١) في الوجوه التسعة والتسعين التي أوردها في سد الذرائع قال: «الوجه الثالث عشر: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بناء المساجد على القبور ولعَن مَنْ فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شد الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها

أوثاناً والإشراك بها، وحرم ذلك على مَن قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سداً للذريعة»، وقال ابن كثير رحمه الله (٧٧٤هـ) في البداية والنهاية (١٤/ ١٧١) في حوادث سنة (٢٠٨ هـ) عند ذكره ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد الهاشمية، قال: «وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام». ومن أبواب كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١٢٠٦هـ): (باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جَناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك)، و(باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله)، و (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين)، و (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!)، وقد أورد رحمه الله آيات وأحاديث وآثاراً في ذلك كما هي طريقته رحمه الله في هذا الكتاب، وهذا الكتاب من أحسن ما أُلِّف في بيان توحيد الألوهية.

وقد ألَّف الإمام الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠هـ) رسالة سماها (شرح الصدور بتحريم رفع القبور) بيَّن فيها أن تعظيم القبور والغلو في أصحابها يفضي إلى الشرك، وقال: «فلا شكَّ ولا ريب أنَّ السببَ الأعظمَ الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما يُزيِّنه الشيطان للناس من رفعِ القبور ووضعِ الستور عليها وتجصيصِها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهلَ إذا وقعت عينُه على قبرٍ من القبور قد بُنيت عليه قُبَّة فدخلها ونظر

على القبور الستورَ الرائعة والسُّرُجَ المتلألئة وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شكَّ ولا ريب أنَّه يمتلئ قلبُه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذِهنُه عن تصوُّر ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الرَّوعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى ضلال العباد، ممَّا يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه، فيصير في عدادِ المشركين، وقد يحصل له هذا الشركُ بأولِ رؤيةٍ لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زَورة؛ إذ لا بدَّ له أن يخطرَ ببالِه أنَّ هذه العنايةَ البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلاَّ لفائدة يرجونها منه، إمَّا دُنيوية أو أُخرويَّة، فيستصغرُ نفسَه بالنِّسبة إلى مَن يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومُتمسِّحاً بأركانه». ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وكذا دعاء الغائبين من الإنس والجن والملائكة شرك مخرج من الملّة؛ لأن فيه صرف حق الله إلى غيره، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[1]، وروى الترمذي في جامعه (٢٩٦٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2] قال: "الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ

---

(١) الجن: ١٨.

(٢) غافر: ٦٠.

أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾[1]» ، انتهى من مقال للعلامة عبد المحسن العباد حفظه الله.

قوله تعالى (وتواصوا بالصبر): قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والصبر هو حبس النفس عما لا ينبغي فعله وقسمه أهل العلم إلى ثلاثة أقسام:

١. صبر على طاعة الله

٢. صبر عن محارم الله

٣. صبر على أقدار الله» اهـ.

قوله (وتواصوا بالصبر) أي يوصي بعضهم بعضا بالصبر بأنواعه الثلاثة ومنه الصبر على الأذى الذي ينال الداعي إلى الحق. قال الشوكاني رحمه الله: «الصبر ضد الجزع والمراد به هنا الصبر على المكاره التي تعرض للعبد في بدنه أو أهله أو ماله فإن من صبر على ذلك لكونه من قدر الله وما قضى به عليه كان ذلك صبرا محمودا ومنه الصبر عن معاصي الله عز وجل والصبر على ما يقوم به من فرائضه من مداومة عليها وإيقاعها على الوجه المأمور به لا سيما ما كان يحتاج العامل به إلى مشقة كالجهاد والحج وبعض أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اهـ.

قال أبو السعود في تفسيره : «وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق؛ لإبراز كمال الاعتناء به» اهـ. قال ابن القاسم في حاشية

---

(١) غافر: ٦٠.

الأصول الثلاثة: «لأن مَنْ قام بدين الإسلام[١] ودعا الناس إليه فقد تحمل أمرا عظيما وقام مقام الرسل في الدعوة وقصد أن يَحُولَ بين الناس وبين شهواتهم -يعني التي تقودهم إلى مخالفة ربهم- وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة فحينئذ لابد أن يؤذوه فعليه أن يصبر ويحتسب» اهـ.

قال ابن عاشور رحمه الله: «والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة ففي مخالفاتها تعب يقتضي الصبر عليه، وهذا الكلام فيه إشارة إلى أن الأخلاق الحميدة منها جبلِّي ومنها مكتسب يحتاج إلى رياضة وإلى معاناة مع هذه النفس حتى تستقيم لك على ما يحبه الله سبحانه وتعالى، حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها كما قال عمرو بن العاص رضي الله عنه:

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه *** ولم ينهَ قلبا غاويا حيث يمما
فيوشك أن تُلفَى له الدهرَ سُبةٌ *** إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما[٢]

وكذلك الأعمال الصالحة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه وفي الحديث: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ" [٣]، وعن

---

(١) يعني تمسك به.

(٢) معنى هذين البيتين أن الذي لا يجاهد نفسه ولا يمنعها من كثير مما تحبه مما لا يحبه ربه ولا يرضاه فإن ذلك يوقعه في سبة وفضيحة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما لقبحها وسوءها.

(٣) رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

علي بن أبي طالب رضى الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو»[1] » اهـ.

في قوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) إرشاد إلى منصب الإمامة في الدين قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾[2] فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

قال الشوكاني رحمه الله: «فإن قلت متى يحق التواصي بالصبر؟ قلت: يحق إذا رأى الإنسان من أخيه جزعا من أمر قد أصابه أو من حاجة قد نزلت به أو من قريب قد فارقه[3] أو دنا فراقه أو من عدو قد جاهره بالعداوة أو نحو ذلك، فيذكر له أن هذا الجزع لا يفيد شيئا ولا يدفع مكروها ولا يرد فائتا وليس له فائدة إلا مجرد فوات ثواب المصيبة مع ضم مصيبة الجزع إلى مصيبة ما وقع الجزع لأجله، ويبين له أن تعذيب الإنسان نفسه بالهم والغم في ما لا يمكن دفعه ولا يقدر العبد على استدراكه شعبة من الجنون، لا شك أن بعض التواصي بالصبر واجب وذلك حيث يكون الصبر واجبا متحتما على صاحبه والجزع حرام عليه ... فإنه إذا كان الأمر هكذا وجب على من علم ذلك الأمر له بالصبر من باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما واجبان عند وجود سببهما» اهـ.

قال الشوكاني رحمه الله: «فإن قلت هذا التواصي بالحق والتواصي بالصبر

---

(١) أي لا تسقط.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) أي بالموت.

إذا كان مع من يقبل ذلك وينْعَمِل له فهو شأن المؤمنين مع بعضهم مع بعضهم البعض وديدنهم وهِجِّيِّراهم، وربما كان بعضهم لا يقبل ذلك ولا ينعمل له ولا ينقاد لمن وصاه بالحق ووصاه بالصبر؟ قلت الكلام هنا مع أهل الإيمان ولهذا عُطفا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحرف المقتضي للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه وشأن أهل الإيمان قبول ذلك والانعمال له والانقياد لقائله وشكره على ذلك والدعاء له، وأما ما ذكرت، فهو من أخلاق الجبابرة وجفاة المنتسبين إلى الإسلام فلسنا بصدد الكلام معهم لكن إذا كان التواصي بالحق والتواصي بالصبر واجبا فعليه أن يقوم بعرضه ويصك به وجه من استحقه ويرغم به أنفه» اهـ. بتصرف.

قال الشوكاني رحمه الله: «وها هنا مفسدة عظيمة تُرِكَ بها كثيرٌ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصارت ذريعة شيطانية للمداهنين في دين الله وهي ما وقع في بعض كتب الفروع من جعل ظن التأثير شرطا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا شرط لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو تمسك بالهباء وتعلل بما هو على شفا جرف هار».

من هدايات سورة العصر

تأكيد وتتميم

* شرف الزمن وما فيه من العبر والآيات وأنه محل الأعمال التي بها سعادة المرء أو شقاوته فينبغي للمسلم أن يحرص على اغتنامه في ما ينفعه وأحق الناس بهذا الحرص طالب العلم، قال الناظم:

وقدِّم الأهم إنَّ العلم جَمْ *** والعمر ضيف زار أو طيف أَلَمْ

حتى يكون شأن العلم عند طالبه أعظم مما ذكره أبو الخطاب الكلوذاني:

قوم طعامهم دراسة علمهم *** يتسابقون إلى العلا والسؤدد

* الخسارة الحقيقية أن يصاب الإنسان في دينه لا في دنياه وحقيقة الربح والمكاسب الغالية أن يسلم للإنسان دينه.

* وجوب العلم قبل الشروع في الدعوة إلى الله.

* وجوب الدعوة إلى الله على جميع المكلفين كل بحسبه.

* الرابحون حقا من جمعوا بين الصفات الأربع.

* قال ابن عاشور رحمه الله: «أفادت صيغة التواصي بالحق وبالصبر أن يكون شأن حياة المؤمنين قائما على شيوع التعامل بهما ديدنا لهم وذلك يقتضي اتصاف المؤمنين بإقامة الحق وصبرِّهم على المكاره في مصالح الإسلام وأمته لما يقتضيه عُرف الناس أن أحدا لا يوصي غيره بملازمة أمر إلا وهو متصف به -وهذه نكتة بديعة- الرب جل وعلى يقول: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ

ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]» اهـ بتصرف. قوله تعالى (وتواصوا بالصبر) أي أوصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر وفيه الإشارة إلى أنهم تحققوا بهذا الحق والصبر في أنفسهم ثم أوصوا بعضهم فإن أحدا لا يوصي غيره بما هو متجرد عنه مفتقر إليه وهذا الذي أشار إليه ابن عاشور قال تعالى توبيخا لبني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾[2].

* دلَّ قوله تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) على أن الحق ثقيل وأن المحن تلازم أهله فلذلك قُرِن به الصبر.

* قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني: «وفي السورة من الندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ما لا يخفى».

* قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في ثلاثة الأصول: «اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل، الأولى العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، الثانية العمل به، الثالثة الدعوة إليه، الرابعة الصبر على الأذى فيه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى

(١) سورة العصر.

(٢) البقرة: ٤٤.

خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[١]».

* نقل ابن القاسم في حاشية الأصول الثلاثة عن ابن القيم قوله: «جهاد النفس أربع مراتب: أحدها أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معادها ومعاشها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين، الثانية أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها، الثالثة أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله، الرابعة أن يجاهدها على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فإذا استكمل هذه المراتب الأربعة صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء».

بهذا نكون قد انتهينا من ذكر الفوائد المستنبطة من سورة العصر وهي كلها من كلام أهل العلم ليس لنا فيها إلا النقل والله المستعان.



(١) سورة العصر.

فهرس المحتويات

هذه دعوتنا

١- الرُّجُوعُ إِلَى الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَفَهْمِهِمَا عَلَى النَّهْجِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ؛ عَمَلاً بِقَوْلِ رَبِّنَا ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً}، وَقَوْلِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ}

٢- تَصْفِيَةُ مَا عَلِقَ بِحَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشِّرْكِ عَلَى اخْتِلَافِ مَظَاهِرِهِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنَ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَةِ، وَالْأَفْكَارِ الدَّخِيلَةِ الْبَاطِلَةِ، وَتَنْقِيَةُ السُّنَّةِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ، الَّتِي شَوَّهَتْ صَفَاءَ الْإِسْلَامِ، وَحَالَتْ دُونَ تَقَدُّمِ الْمُسْلِمِينَ؛ أَدَاءً لِأَمَانَةِ الْعِلْمِ، وَكَمَا قَالَ الرَّسُولُ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»، وَتَطْبِيقاً لِأَمْرِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}

٣- تَرْبِيَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى دِينِهِمُ الْحَقِّ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ، وَالتَّحَلِّي بِفَضَائِلِهِ وَآدَابِهِ، الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ رِضْوَانَ اللهِ، وَتُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَجْدَ؛ تَحْقِيقاً لِوَصْفِ الْقُرْآنِ لِلْفِئَةِ الْمُسْتَثْنَاةِ مِنَ الْخُسْرَانِ: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، وَلِأَمْرِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ: {وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}

٤- إِحْيَاءُ الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى نَهْجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَإِزَالَةُ الْجُمُودِ الْمَذْهَبِيِّ، وَالتَّعَصُّبِ الْحِزْبِيِّ، الَّذِي سَيْطَرَ عَلَى عُقُولِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ صَفَاءِ الْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ النَّقِيَّةِ؛ تَنْفِيذاً لِأَمْرِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}، وَلِقَوْلِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً»

هَذِهِ دَعْوَتُنَا، وَنَحْنُ نَدْعُو الْمُسْلِمِينَ ـ جَمِيعاً ـ إِلَى مُؤَازَرَتِنَا فِي حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي تَنْهَضُ بِهِمْ، وَتَنْشُرُ فِي الْخَافِقَيْنِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ الْخَالِدَةِ بِصِدْقِ الْأُخُوَّةِ، وَصَفَاءِ الْمَوَدَّةِ، وَاثِقِينَ بِنَصْرِ اللهِ، وَتَمْكِينِهِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}.